



أغاني المهدي^s

في المجتمعات الإسلامية

تمهيد

يتمثل التراث الثقافي المعنوي في الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات التي تنتقل من جيل إلى آخر، والتي تعيد المجتمعات تشكيلها باستمرار استجابةً لبيئتهم وتفاعلاً مع طبيعتهم وتاريخهم. وتأسس على هذا المعنى فإن التراث مشاعر الانتماء والهوية والاستمرارية والتواصل مع ثقافة الأمانة المرتبطة بالأدوات والقطع الفنية والأثرية التي تعتبرها المجتمعات والأفراد جزءاً لا يتجزأ من تاريخها. ويسهم ذلك في التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية.

إن الموسيقى، بما فيها الكلمة المحكية، تعتبر أحد أشكال فنون الأداء الأكثر انتشاراً في العالم أجمع، وتوجد في كل مجتمع كأحد العناصر الرئيسية في التراث الثقافي المعنوي. وتعتبر هذه الفنون بدايةً من المناسبات الاحتفالية إلى التقاليد الشفاهية أكثر من مجرد عروض أدائية للمشاهدين، كونها حاضرة في أكثر السياقات الاجتماعية تنوعاً. وفي بعض الحالات، يمكن لهذه الفنون أن تروي تاريخ المجتمع، وفي بعض الحالات يتم روايتها على شكل أغنية لمساعدة الطفل على النوم. من هنا فإن أغاني المهدي تجسد المسؤولية التي تتحملها الأم من خلال نقل قيم المجتمع عبر الحكايات؛ فالأمهات هن الرواة الحقيقيون للتراث، وتلعب الأغاني والتهويدات دوراً جوهرياً في نقل مفهوم الحب والترابط الروحي بين الأم وطفلها.

وتعبيراً عن كل هذه المعاني والمفاهيم فإن هذا الكتاب يُعد لوحة جمالية فريدة تضم مجموعة من أغاني المهدي التراثية التي يتناولها الجمهور، بشكل جماعي غالباً، من خلال التجارب المشتركة. وتركز عمليات البحث والتوثيق التي شملها الكتاب والتسجيلات المرافقة له على الجهود المتواصلة التي تبذلها دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي لحماية هذا الإرث الإنساني، والتأكيد على مكانته البارزة في ذاكرة الشعوب، وأهمية المحافظة عليه لأجيال المستقبل.

محمد خليفة المبارك
رئيس مجلس الإدارة
دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي

المشاركون

(حسب التسلسل الأبجدي)

ألبانيا

بحث وتوثيق وتصوير: فاسيل س. تولي
المنسق العام: نيكو ميهالي
ترجمة: إيدمون كابين
تسجيل صوت وتصوير: كلوديان كافوكو

الصين

بحث وتوثيق وتصوير وتسجيل صوت وتصوير: مقدس ميجيت

مصر

بحث وتوثيق: رتيبة الحفني

إثيوبيا

بحث وتوثيق وتنسيق: إيلاريا سارتوري
بحث: إيلاريا سارتوري، عبد الملك عبد الله، أمير رضوان، عادل رضوان
تسجيل صوت وتصوير: إيلاريا سارتوري، عادل رضوان

المحيط الهندي

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: فيكتور رندرياناري

إيران

بحث وتوثيق: مريم غراسو
تسجيل صوت: سيامك جهانجيري
تصوير: أكبر محمدي

العراق

بحث وتوثيق: حبيب ضاهر العباس
تسجيل صوت: فرات عبد العزيز الحبيب، أحمد صلاح
تصوير: علي فاضل نادم

الأردن

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: يوسف طنوس

لبنان

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: يوسف طنوس

مالي

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: إليزابيت دن أوتر
مساعدة وترجمة: موسى داكيتة
تحليل الأغاني والنصوص الأصلية: لسينة سيديبي
ترجمة الأغاني: ننكي مورلي

المغرب

بحث وتوثيق وترجمة: أحمد عيدون

نيجيريا

بحث وتوثيق وترجمة وصور: عبد الله أوبا أدمو
تسجيل صوت وتصوير: ياكوبو أدمو عبد الله

باكستان

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: أكسي مفتي

فلسطين

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: يوسف طنّوس

روسيا

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: هنري لوكونت
ترجمة الأغاني: ألميرا خيبولينا

السنغال

بحث وتوثيق وتسجيل صوت: لوسيانا بينا دياو
بيار لوكونت وفريقه

سوريا

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: يوسف طنّوس

طاجيكستان

بحث وتوثيق وترجمة: جان دورينج

تونس

بحث وتوثيق: فتحي زغندة

تركيا

المنسق العام: أوتشال أوغوز
بحث وترجمة: أوتشال أوغوز، إفريم أولشر أزونل
مساعدة واستشارة موسيقية: أرمغان إلتشي
صور: إفريم أولشر أزونل، أندرو بريماكومب
تسجيل صوت وتصوير: حسيني إلتشي

الإمارات العربية المتحدة

بحث وتوثيق وتسجيل صوت وتصوير: خالد البّدور، د. راجا بالاكريشانان، محي الدين كويا كيلوت

أوزباكستان

بحث وتوثيق: إرودا دادادجانوفا
المنسقون: نيغورا ياكوبوفا، تلقين سوبيروف، بهرمجون أسمونوف
ترجمة: فخر الدين نرؤموف، إرودا ناريمونوفا
تسجيل صوت وتصوير: أركين مورودوف، إرودا ناريمونوفا

اليمن

بحث وتوثيق: جابر علي أحمد

المقدمة

انتشرت في دولة الإمارات العربية المتحدة قديماً أنماط من الأناشيد والهدهدة للأطفال وكلها تعبّر عن حب الأمهات لأطفالهن، كما أنها تعكس طبيعة البيئة الإجتماعية الإماراتية.

كان لهذه الأناشيد والأغاني وهدهدة الأطفال في المجتمع الإماراتي وَفَعَّ خاص وترنيمه فريدة في نوعها في زمن انعدمت فيه الوسائل العصرية الحالية التي قد تشغل الأم عن هدهدة طفلها. وجاءت هذه الأغاني والأناشيد بمجملها وليدة للعقيدة الدينية وللبيئة الصحراوية الصالحة لزراعة أشجار النخيل التي ترمز للعطاء والحياة في ذلك الوقت. وهكذا استمرت هذه الهدهدهات حتى يومنا هذا، لتشكل جزءاً هاماً من تراث الدولة ولو أنها انحسرت بفعل التطور.

وتختلف ثقافات الشعوب من بلد إلى آخر متأثرة بتراثها ولغتها وبيئتها. وعادة ما تكون لكل ثقافة أغان وهدهده خاصة بالأطفال تنم عن عاطفة حيّاشة للأم وهي تحتضن وليدها، أو تهز له المهد كي ينام، وكذلك حين تداعبه وتسليه حيث تغمرها سعادة تتجسّد في أناشيدها الحنونة. وفي الإمارات، وتحديداً في أبوظبي، اكتسبت هدهده الأطفال مفاهيم خاصة ومعبرة. ومن هذه الأغاني الشائعة والهدهده الحنونة: أولاً أغاني المهد وترقيص الأطفال، وهي من الأغاني القديمة التي تغنيها الأمهات لتنويم الطفل أو مداعبته وهي تحمل أجمل معاني الحب والمودة. وكان الطفل قديماً يوضع في الأرجوحة التي تسمى باللهجة الإماراتية "المنز"، وكانت المرأة، بطبيعتها البسيطة، تردد أغاني تهدهد بها طفلها ويتضح من معانيها طريقة تربية الطفل قديماً وطبيعة حياة الأسرة.

وأثرت البيئة الصحراوية في الإمارات على أغاني وهدهده الأطفال في أنماط مختلفة ترتبط أحياناً بأسماء الجلالة أو عبارات لها مكانة مقدسة أو دعاء أو دعاء إلى الله ليحفظ الطفل أو الطفلة، كما أنهم في هذه البيئة كان جل اعتمادهم على النخلة وعلى ما كان يوجد به البحر من خيرات. ونحن نستشف من تلك الهدهدهات فسحات من الحزن والتمني والابتهاال إلى الله عز وجل أن يحفظ الأطفال من كل سوء ومكروه. ومع أن هذه الأناشيد ما زالت تُردد حتى اليوم إلا أنها بدأت تُحسّر تدريجياً في ظل زخم أشغال ومشاكل الحياة، ووجود أعداد كبيرة من المربيّات اللواتي يقمن بالاعتناء بالأطفال ولا سيما مع الطفرة الاقتصادية الكبيرة التي شهدتها الدولة بعد استخراج البترول، وانصراف الأمهات إلى أعمال أخرى، ناهيك عن انشغالهن ببرامج حياتية جديدة. كل ذلك كان له تأثير سلبي في المحافظة على الهدهده القديمة بالرغم أن هذه الهدهده ستبقى محفورة في أعماقنا كونها جزءاً هاماً من تاريخنا وتراثنا. وقد تنوعت أغاني هدهده الطفل في الإمارات بأشكال وترنيمات عدة، نجد لها نماذج جذابة بوقع موسيقي رائع، ومنها تلك التي ذكرتها الراوية أم سالم¹ حيث كانت الأم تهدهد طفلها قبيل النوم وهي تغني بصوت خافت:

هلاً هلاً يالولي
وذاوز في الحوي
خلوا مريم تستوي
وتيب موبها من الطوي

وتعد هذه العبارات بمثابة دعاء للطفلة الصغيرة مريم حتى تكبر وتتجول في فناء البيت وتذهب مع قريبتها لجلب الماء من البئر. وتذكر وهي طفلة صغيرة أنها كانت تردد بعض الأغاني:

نخلنا هيسه هيسه	ما يدخلها الهياس
فيها عواضد حنا	متشربكه بالياس
إذا مت أنا دفنوني	تحت عويد الياس
بتصوّخ من يبكينني	من ذاك الخرمات
تبكينني إلا المويمه	ودموعي سايلات
طرّشت لمرّت أبويه	وتعذرت ما يات
ينّي رفايد عمي	من بعيد عانيات
جدامهم حلّيمة	شيخة البلوشيات
عئبنني الصوغ اللي فيها	وحلاقتها المكندسات

وترمز هذه الهدفة إلى عزة النفس والغنى لدى هذه العائلة، وإلى مقدار محبة الأم لطفلها. وفي أيام العيدين كانوا يرددون:

كلنا يا عيد بشوله	غير أنا يا عيد معتلي
بالعشر قصه تحنوله	وصبغوا بالورس والحلي
والعيد مايانا ولامر	ولا حشا ولا بالعين شفناه
والعيد غرّب ساحل دبي	وبين القدم زاهي بخناه

ومن الأغاني الشائعة ما كان يرمز ويكشف عن البعد الديني الغيبي لدى العائلات:

لا إله إلا الله	محمد يا رسول الله
محمد زين كُله زين	مولود ضحى الإثنين
محمد ساكن الوادي	بلا ماء ولا زاد
حُث السير يا حادي	من الكعبة لبيت الله
لا إله إلا الله	محمد يا رسول الله
طلعت فاطمة الزهراء	وأزهر من ليلة القمر
وقالتله وذعتك يا بوي	الجنة النعيمة المخلدة فيها بنات الحور
وحده تصب الماي	ووحده تتوضا
ووحده تصلي عليك يا رسول الله	صلي الله عليه وسلم
صلي الله على محمد	

وتقول لنا أم عبيد² حين يبلغ الطفل أو الطفلة قرابة التسعة شهور ويبدأ المشي كانوا يرددون له ويهددون أنشودتهم:

قوم طشة بشوفك	قوم طشة برايبك
قوم جنك ولد شيوخ	قوم شاخ بغاويك
قوم انقر جانك تبا الغز	وقوم ارقص جانك تبا القرص

وهكذا نلاحظ في هذه الهدفة كيف تشجع الأم طفلها على المشي والحركة.

ومن الأغاني القديمة الشائعة التي كانت ترمز لمكانة النخلة وكانت الأمهات يرددنها للأطفال من سن الشهرين إلى العشرة شهور تقول
لنا أم أحمد³:

هَوَّابِه الغالي هَوَّابِه
هَوَّابِه هَوَّابِه ولا رخص من يابه
هَوَّابِه ولا رخص من يابه
كُشيشِهِن في السما وعروقهِن في الأرض

هذه الأبيات تظهر كم يكون الطفل عزيزاً على أمه حيث تتمنى له أن يمتلك بستاناً من شجرات النخيل اللواتي تطاول أعناقهن عنان السماء. وهكذا تُعبّر هذه الأنشودة عن مدى تعلق الناس بالنخلة التي ترمز للعطاء.

وفي الختام، علينا واجب تراثي يجب التمسك به وإحياءه لأنه جزء هامّ من تراثنا العريق متمثلاً بإحياء هذا النمط من الهدفة للطفل بهذا النوع من الأغاني القديمة التي نترنم بسماعها وننقلها للأجيال الحاضرة والمستقبلية.

عائشة خميس الظاهري

باحث أول
إدارة التراث المعنوي
قطاع الثقافة
دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي

- 1 أم سالم: من الراويات المسنّات، ولها خبرة طويلة في شؤون التوليد. أجريت معها لقاء في بيتها في الجاهلي في العين بتاريخ 5/9/2008.
- 2 أم عبيد: من الراويات اللواتي يمتلكن خبرة في مجال طب الأعشاب. أجريت معها لقاء في بيتها في الصاروج في العين بتاريخ 7/3/2008.
- 3 أم أحمد: من الراويات الشهيرات في مجال القصص الشعبية. أجريت معها لقاء في بيتها بمنطقة المقام في العين بتاريخ 10/9/2008.